المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تعظيم الله تعالى في هدايات القرآن الكريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

أدب المؤمنين في خطابهم لربهم سبحانه وتعالى من خلال القرآن الكريم جمعاً ودراسةً

اسم الباحث

د / أحمد كوري بن يابة السالكي

د. أحمد كوري بن يابة السّالكي

أدب المؤمنين

في خطابهم لربهم من خلال القرآن الكريم

المقدمة

اللَّهمَّ، لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه. اللَّهمَّ، صلِّ علىٰ محمَّد، وعلىٰ آل محمَّد، كما صليتَ علىٰ إبراهيم. وبارِكْ علىٰ محمَّد، وعلىٰ آل محمَّد، كما بارَكْتَ علىٰ إبراهيم، في العالمين، إنَّك حميدٌ مجيدٌ،،

أمّا بعد؛ فقد وفقني الله سبحانه وتعالىٰ، للتقدم إلىٰ المشاركة في هذا المؤتمر القرآني العظيم، الذي يبحث مقصدًا جليلًا من مقاصد القرآن الكريم، هو: تعظيم الله سبحانه وتعالىٰ.

واخترت لمشاركتي هذا الموضوع، وهو: «**أدب المؤمنين في خطابهم لربهم، سبحانه وتعالىٰ، من خلال القرآن الكريم، جمعًا ودراسةً**».

وهو يندرج في إطار المحور الرئيس: «**نماذج تطبيقية في تعظيم الله تعالىٰ في ضوء الهدايات القرآنية**». والمحور الفرعي: «**تعظيم الله تعالىٰ عند مخلوقاته**».

تعريف موضوع البحث وأهميته:

موضوع هذا البحث، هو دراسة الآيات القرآنية الكريمة، التي تحكي خطاب المؤمنين لله تعالىٰ أو ذكرهم له، والتي فيها عدول عن الظاهر، وخروج عن التعبير المألوف، بسبب تعظيم المؤمنين لله تعالىٰ.

وهذا الأسلوب ملمح بارز في التعبير القرآني، كما قال ابن عطية: «وهذا المنزع يطرد في فصاحة القرآن كثيرًا»[1]. وهو أسلوب من أروع الأساليب، كما يقول ابن كثير: «وما أحسن ما جاء إسناد الإنعام إليه في قوله تعالىٰ: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة: ٧]، وحذف الفاعل في الغضب في قوله تعالىٰ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[الفاتحة: ٧]، وإن كان هو الفاعل لذلك في الحقيقة»[2]. ومن ثم كانت دراسته مهمة جدًّا، للكشف عن جانب من إعجاز القرآن الكريم، وفنون بلاغته؛ فذلك داخل في قول الله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾[محمد: ٢٤]، «فإن التدبر لإعجاز القرآن واجب مفترض»[3].

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥٣٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٧).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٤/ ٦٣).

والكشف عن إعجاز القرآن الكريم، وفنون بلاغته، هو المقصد الأسمىٰ للباحثين في الإعجاز والبلاغة القرآنية، كما يقول الزركشي في «النوع السادس والأربعين: في أساليب القرآن وفنونه البليغة»: «وهو المقصود الأعظم من هذا الكتاب، وهو بيت القصيدة، وأول الجريدة، وغرة الكتيبة، وواسطة القلادة، ودرة التاج، وإنسان الحدقة، وكيف لا يكون؟! وهو المطلع علىٰ أسرار القرآن العظيم، الكافل بإبراز إعجاز النظم المبين، وما أودع من حسن التأليف وبراعة التركيب، وما تضمنه من الحلاوة، وجلله من رونق الطلاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، ولا فرق بين ما يرجع الحسن فيه إلىٰ اللفظ أو المعنىٰ»[(١)].

ويكتسب هذا الموضوع أهمية أخرىٰ أيضًا من جانب آخر، وهو أن فيه تأييدًا لمبدإ عقدي رئيس، من مبادئ عقيدة أهل السنة، هو الإيمان بالقدر، وبأن الله تعالىٰ خالق كل شيء، وردًّا لشبه المعتزلة وغيرهم من القدرية، الذين يحتجون بالآيات والأحاديث الواردة علىٰ هذا الأسلوب، لإثبات أن الله تعالىٰ لا يخلق الشر[(٢)].

الدراسات السابقة ومناهج المفسرين في الاهتمام بهذا الأسلوب ودراسته:

من المعلوم أن من المفسرين من يوجه اهتمامه إلىٰ جوانب من مقاصد القرآن الكريم، غير بلاغة النص القرآني، ولم يهتم هؤلاء بدراسة هذا الأسلوب، كما لم يهتموا بدراسة غيره من فنون البلاغة القرآنية.

أما المفسرون البلاغيون فقد اهتموا بالتنبيه علىٰ هذا الأسلوب حيث ورد، ومنهم: البقاعي وابن عرفة والألوسي وابن عاشور، كما سيأتي في هوامش هذا البحث.

إلا أن الإمام الزمخشري – وسابقته معروفة في مجال دراسة الإعجاز البلاغي – يخرج عن هذه القاعدة، لأنه – مراعاة لمذهبه العقدي الاعتزالي – لا يوافق سائر المفسرين البلاغيين علىٰ وجود هذا الأسلوب في القرآن، فالمعتزلة يحتجون بالآيات التي ورد فيها هذا الأسلوب لنصرة مذهبهم القائل إن الله تعالىٰ لا يخلق الشر، كما تقدم.

علىٰ أن كلام المفسرين الذين اهتموا بدراسة هذا الأسلوب، مبثوث في تفاسيرهم، عند تفسير كل آية ورد فيها هذا الأسلوب، ولم أقف علىٰ من أفرد هذا الموضوع بالبحث، غير

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٣٨٢).

(٢) انظر: الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد (١٤٢)، فما بعدها، ومفاتيح الغيب (١٠/ ١٤٨).

الزركشي، فقد خص جانبًا منه -وهو تحاشي نسبة الشر إلىٰ الله تعالىٰ- ببحث مختصر في نحو صفحتين[١]. ومن الباحثين المعاصرين في بلاغة القرآن الكريم، نجد د. فاضل صالح السامرائي ينبه إلىٰ جانب من هذا الأسلوب، هو تحاشي نسبة المكروه إلىٰ الله تعالىٰ، ويشير إليه في بعض كتبه، باختصار[٢].

خطة البحث:

يتألف البحث من مقدمة وثلاثة مباحث، تحت كل مبحث مطلبان، ثم خاتمة. كما يلي:

مقدمة

المبحث الأول: مقتضىٰ الظاهر والأصل الشرعي لاستعمال هذا الأسلوب

المطلب الأول: مقتضىٰ الظاهر والعدول عنه

المطلب الثاني: الأصل الشرعي لاستعمال هذا الأسلوب

المبحث الثاني: الأسباب التفصيلية للعدول عن الظاهر في خطاب المؤمنين لربهم سبحانه

المطلب الأول: تحاشي نسبة المكروه إلىٰ الله، وتنزيهه عن مشابهة المخلوقات في الخطاب

المطلب الثاني: تحاشي الجزم بالغيب، وتفويض العلم إلىٰ الله تعالىٰ، والإقرار بالتقصير

المبحث الثالث: أساليب العدول عن الظاهر في خطاب المؤمنين لربهم سبحانه وتعالىٰ

المطلب الأول: العدول في الأساليب

المطلب الثاني: الإيجاز والإطناب والمجاز العقلي

خاتمة: تتضمن النتائج التي توصل إليها البحث.

منهج البحث وإجراءاته:

حاول البحث الالتزام بالمنهجية العلمية المعتمدة في البحوث العلمية. مع مراعاة ما يقتضيه الحجم المحدد للبحث، من الاختصار.

وحاول البحث انتهاج ما يخدمه من المناهج العلمية في الوصول لهدفه؛ فاعتمد المنهج الاستقرائي في جمع الآيات الكريمة موضوع البحث، واعتمد المنهج التحليلي والاستنباطي لدراستها وتدبرها.

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٤/ ٥٩ – ٦١).

(٢) انظر: معاني النحو (٢/ ٧٣ – ٧٤)، ولمسات بيانية في نصوص من التنزيل (٦٥).

وحاول البحث مراعاة التسلسل المنطقي في ترتيب مباحثه؛ فجعل المبحث الأول نظريًّا، وجعل المبحثين التاليين تطبيقيين لِما ورد في المبحث الأول من أسس نظرية. فالمبحث الأول يدرس العدول عن الظاهر، والأصل الشرعي لاستعمال هذا الأسلوب، والمبحث الثاني يدرس الأسباب التي اقتضت من المؤمنين العدول عن الظاهر، والمبحث الثالث يدرس الأساليب التي اتخذها المؤمنون للعدول عن الظاهر، في خطابهم لربهم سبحانه وتعالىٰ، أو حديثهم عنه عمومًا. مع العزو إلىٰ المصادر – من تفاسير وغيرها – التي نبهت علىٰ ورود هذا الأسلوب في الآية.

وتم الاقتصار أحيانًا علىٰ جزء الآية الذي هو محل الشاهد، إذا كانت الآية طويلة.

ولما كان أكثر الآيات الواردة في المبحث الثالث، قد تقدم في المبحث الثاني، فإن البحث لم يُعِد في المبحث الثالث عزو هذه الآيات المتكررة، إلىٰ التفاسير التي قد تقدم عزوها إليها في المبحث الثاني.

وأَدرَج البحثُ ضمن موضوعه، كل الآيات الكريمة المحكية عن المؤمنين، التي تحقق فيها هذا الأسلوب، سواء أكانت خطابًا من المؤمنين لله تعالىٰ، أم ذكرًا من المؤمنين لله تعالىٰ من غير خطاب.

ولا يعني تفسير الآيات المذكورة في البحث، عن طريق هذا الأسلوب، أن هذا هو التفسير الوحيد لها، بل ربما يذكر فيها بعض المفسرين احتمالًا آخر، لكن هذه الاحتمالات خارجة عن موضوع البحث، ومن ثَم فإنه لم يذكرها.

الله الموفق والمستعان،،

المبحث الأول: مقتضى الظاهر والأصل الشرعي لاستعمال هذا الأسلوب

يقتضي الحديث عن هذا الأسلوب، الحديث عن مقتضىٰ الظاهر، والأصل الشرعي لاستعمال هذا الأسلوب، وذلك موضوع المطلبين التاليين:

المطلب الأول: مقتضى الظاهر والعدول عنه

يقوم هذا الأسلوب علىٰ مخالفة مقتضىٰ الظاهر، حسب تعبير البلاغيين؛ فمقتضىٰ الظاهر مثلًا أن يُنسب الخير والشر كلاهما إلىٰ الله تعالىٰ؛ لأنه خالق كل شيء. لكن هذا الأسلوب خالف مقتضىٰ الظاهر؛ ففيه ينسب الخير فقط إلىٰ الله تعالىٰ، ولا ينسب إليه الشر.

ومن هنا كان من المهم، تخصيص مطلب لتعريف مقتضىٰ الظاهر، عند البلاغيين.

فمن المعلوم أن النحو العربي نظام يحدد أحكام تراكيب الكلام وما يلحق بها، لمعرفة الجائز منها والممنوع. كما يقول السكاكي: «اعلم أن علم النحو هو أن تنحو معرفة كيفية التركيب في ما بين الكلم لتأدية أصل المعنىٰ مطلقًا، بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب، وقوانين مبنية عليها؛ ليحترز بها عن الخطإ في التركيب من حيث تلك الكيفية»[1].

وبيْن النحو وعلم المعاني صلة وثيقة؛ فعلم المعاني يحدد الأسلوب المناسب للمقام من الخيارات الجائزة في النحو؛ «فبه نحترز عن الخطأ في تأدية المعنىٰ المراد، فنعرف السبب الذي يدعو إلىٰ التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والإيجاز حينًا والإطناب آخر، والفصل والوصل»[2].

وذلك أن علم المعاني نظام يحدد الأسلوب المناسب لمقتضىٰ الحال، والحال هو الأمر الداعي إلىٰ التكلم، يقول السكاكي: «لا يخفىٰ عليك أن مقامات الكلام متفاوتة؛ فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ولكل من ذلك مقتضىٰ غير مقتضىٰ الآخر. ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطُه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضىٰ الحال»[3].

---

(١) مفتاح العلوم (٧٥).

(٢) علوم البلاغة (٤١).

(٣) مفتاح العلوم (١٦٨).

والأولىٰ هو استعمال الأصل[١]، إذا لم يوجد مسوغ بلاغي للعدول عنه، وذلك هو موافقة الكلام لمقتضىٰ ظاهر الحال. فإذا وجد مسوغ بلاغي للعدول عنه، صار العدول عنه هو الأولىٰ، وذلك الذي يعرف بالعدول عن مقتضىٰ الظاهر أو مخالفة مقتضىٰ الظاهر[٢].

فمن المعلوم مثلًا أن الذكر هو الأصل، وأن «الحذف خلاف الأصل»[٣]، لكن إذا وجد مسوغ بلاغي للحذف، صار الحذف هو الأولىٰ والأبلغ، رغم أنه خلاف الأصل، وعدول عن مقتضىٰ الظاهر، كما يقول عبد القاهر الجرجاني: «القول في الحذف: هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر؛ فإنك ترىٰ به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تبن»[٤].

وأسباب العدول بالكلام عن مقتضىٰ الظاهر، كثيرة جدًّا، وكذلك أنواعه[٥].

المطلب الثاني: الأصل الشرعي لاستعمال هذا الأسلوب

نبَّه الله -سبحانه وتعالىٰ- في كتابه الكريم، عباده الصالحين إلىٰ طريقة الأدب معه، فعلمهم هذا الأسلوب؛ فاستمعوا القول فاتبعوا أحسنه. فمثلًا في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ينسب الخير إلىٰ الله -تعالىٰ- ولا ينسب الشر إليه. وليست هذه المواضع المعنية هنا محكية عن المؤمنين، بل هي من كلام الله تعالىٰ، غير المحكي عن أحد من خلقه.

هذا مع أن الخير والشر جميعًا من الله تعالىٰ، كما يدل علىٰ ذلك العقل والنقل، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزُّمَر]، وقال: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨﴾ [النساء].

والسبب في إضافة الخير فقط إلىٰ الله دون الشر، مع أنهما كليهما من خلقه، أن الخير يضاف إلىٰ الله تعالىٰ إرادةً وخلقًا ومحبةً ورضًا، أما الشر فهو يضاف إلىٰ الله تعالىٰ إرادةً وخلقًا

---

(١) انظر حول الأصول: الأصول: دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (١٠٧) وما بعدها، و(١٣٠ – ١٣٧، ٣١٠، ٣١٣)، وما بعدها.

(٢) انظر: مختصر شرح السعد علىٰ التلخيص (١/ ٢٠٨-٢٠٩).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٣/ ١١).

(٤) دلائل الإعجاز (١٤٦).

(٥) انظر: تاريخ آداب العرب (١/ ١٩٦)، والأصول (٣١٥).

فقط، لا محبةً ولا رضًا، كما قال تعالىٰ: ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الزُّمَر: ٧]. والخير أيضًا محبب إلىٰ نفوس البشر، والشر مكروه لديها؛ فنُزه الله -تعالىٰ- عن إضافته إليه تأدبًا معه(١).

فمن هذه المواضع قول الله تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [فُصِّلَت]، فنُسبت إذاقة الرحمة إلىٰ الله تعالىٰ، ولم ينسب إليه إمساس الشَّرِّ(٢).

ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُۢنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [النساء]، فنُسب الفضل إليه، ولم تنسب إليه المصيبة(٣).

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الطلاق]، فنُسب الإيتاء إليه، ولم ينسب إليه قَدْرُ الرزق(٤).

وقول الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل]، فنَسَبَ إليه النعمة، وسَكت عن نسبة النقمة إليه(٥).

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [الإسراء]، فنسب الإنعام إلىٰ الله ولم ينسب إليه إمساس الشَّرِّ(٦).

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يونس]، فنسبت إذاقة الرحمة إليه، ولم ينسب إليه المس بالضراء(٧).

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٤/ ٥٩).
(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٧/ ٢١٧-٢١٨)، والتحرير والتنوير (٢٥/ ١٥).
(٣) انظر: روح المعاني (٣/ ٧٨).
(٤) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠/ ١٦٣).
(٥) انظر: تفسير ابن عرفة (٣/ ٢٧).
(٦) انظر: المصدر السابق (٣/ ٧٤)، والتحرير والتنوير (٢٥/ ١٥).
(٧) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٧/ ٤٨).

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران]، فلم ينسب إليه الكفران، وإنما ورد بصيغة المركب للمجهول(١).

وقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف]، وقوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة]، ذُكر في الآيتين فعلُ الله تعالىٰ وفعل البشر، لكن فعل البشر قدم في الآية الأولىٰ؛ لأنها وردت في سياق النقمة، وقدم فعل الله تعالىٰ في الآية الثانية؛ لأنها وردت في سياق النعمة(٢).

علىٰ أن ذلك لا ينافي أن الله -تعالىٰ- قد يصف نفسه بمثل هذه الأمور، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣]، وقوله: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح]، وقوله: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة]. ولكن يبقىٰ من واجب العباد التأدب مع ربهم سبحانه وتعالىٰ، بعدم نسبة المكروه إليه، قال القرطبي: «ولله تعالىٰ أن يطلق علىٰ نفسه ما يشاء، ولا نطلق نحن إلا ما أذن لنا فيه من الأوصاف الجميلة والأفعال الشريفة. جل وتعالىٰ عن النقائص والآفات علوًّا كبيرًا»(٣).

---

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/ ٣٣).
قرأ حمزة والكسائيُّ وخلف وحفصٌ بياء الغَيبة في الفعلين، وقرأ الباقون بتاء الخطاب. لكن اختُلِف عن الدُّورِيِّ عن أبي عَمرو (انظر: النّشر في القراءات العشر ٢/ ٢٤١).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٥٣٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٤٠).

المبحث الثاني: الأسباب التفصيلية للعدول عن الظاهر في خطاب المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى

سبب العدول عن الظاهر في هذا الأسلوب، هو إجمالًا تأدب المؤمنين مع ربهم سبحانه وتعالىٰ، وتدخل تحت هذا الإجمال عدة أسباب تفصيلية، كما في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: تحاشي نسبة المكروه إلى الله، وتنزيهه عن مشابهة المخلوقات في الخطاب

تحاشي نسبة المكروه إلى الله تعالى:

علَّم الله تعالىٰ عباده المؤمنين، هذا الأدب الرَّاقي، كما تقدَّم، فراعوه في خطابهم إيَّاه سبحانه وتعالىٰ، فقد قال الله تعالىٰ حاكيًا عن المؤمنين: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦]، فوصفوا الله تعالىٰ بأن بيده الخير، ولم يصفوه بأن بيده الشر، تأدبًا منهم، مع أنه لا فرق بين الأمرين[(١)].

وحكىٰ الله عنهم قولهم: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة]، فنسبوا الإنعام إلىٰ الله تعالىٰ، ولم ينسبوا إليه الغضب، بل أوردوه بصيغة اسم المفعول، وهي بمعنىٰ المبني للمجهول[(٢)].

وحكىٰ الله تعالىٰ عن مؤمني الجنِّ قولهم: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن]، فنسبوا إلىٰ الله إرادة الرّشد، ولم ينسبوا إليه إرادة الشَّرِّ، بل أوردوها بصيغة المبني للمجهول[(٣)].

وقال تعالىٰ حكاية عن الخضر عليه السلام: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، وقال: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ [الكهف]، وقال: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/ ١١٩.

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (تفسير ابن جزي): ١/ ٦٦، والبرهان في علوم القرآن: ٤/ ٥٩، وتفسير ابن عرفة: ١/ ٣٨.

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن: ٤/ ٦٠ - ٦١، وتفسير ابن عرفة: ٤/ ٣٠٥.

رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾[الكهف]، فالخضر لمَّا أراد ذكر العيب للسَّفينة نسبه لنفسه أدبًا مع الرُّبوبية، فقال: ﴿فَأَرَدتُّ﴾. ولما كان قتل الغلام مشترك الحكم بين المحمود والمذموم استتبع نفسه مع الحقِّ، فقال في الإخبار بنون الاستتباع؛ ليكون المحمود من الفعل -وهو راحة أبويه المؤمنين من كفره- عائدًا علىٰ الحقِّ سبحانه، والمذموم ظاهرًا -وهو قتل الغلام بغير حقٍّ- عائدًا عليه. وفي إقامة الجدار كان خيرًا محضًا؛ فنسبه للحقِّ، فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾، ثم بيَّن أن الجميع من حيث العلم التَّوحيديِّ من الحقِّ، بقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾[1].

وقال الله تعالىٰ حكاية عن موسىٰ عليه السلام: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾[طه: ٨٦]، ففي أوّل كلامه نسب الوعد إلىٰ الله ووصفه بالحُسن، وفي آخر كلامه أضاف الموعد إلىٰ نفسه؛ لأنَّه ذكره في سياق الإخلاف، وهو أمرٌ مكروه؛ فنسب الموعد إلىٰ نفسه، تأدُّبًا مع الله تعالىٰ[2].

وحكىٰ الله تعالىٰ عن أيوب عليه السلام قوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾[ص]، فنسب المسَّ إلىٰ الشَّيطان، مع أنَّه من خلق الله، أدبًا مع الله تعالىٰ[3].

وحكىٰ الله تعالىٰ عن فتىٰ موسىٰ عليه السلام قوله: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف: ٦٣]، فنسب الإنساء إلىٰ الشَّيطان، مع أنَّه من خلق الله، أدبًا مع الله تعالىٰ[4].

وحكىٰ الله تعالىٰ عن إبراهيم عليه السلام قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠]، فنسب المرض إلىٰ نفسه، ونسب الشفاء إلىٰ الله، مع أن الجميع من خلق الله، تأدبًا مع الله تعالىٰ[5].

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٤/ ٦٠)، وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٥٣٧)، ولباب التأويل (٣/ ١٧٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٧٣)، ونظم الدرر (٢٣/ ١١٩)، وروح المعاني (٨/ ٣٣٨)، ومحاسن التأويل (٧/ ٥٤)، والزيادة والإحسان (٦/ ٣٦٠).

(٢) انظر: نظم الدرر (١٢/ ٣٢٧).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٦/ ٣٨٩)، وتفسير الجلالين (٣/ ٦٠٧).

(٤) انظر: الإكليل في استنباط التنزيل (١٧١).

(٥) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٦٦، ٢/ ٩٢)، والبرهان في علوم القرآن (٤/ ٥٩)، ومحاسن التأويل (٧/ ٤٦٠)، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم (١٠/ ٢٥٦).

تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات في الخطاب:

من أسس العقيدة الإسلامية اعتقاد مخالفة الله سبحانه وتعالىٰ لمخلوقاته، قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

ومن مظاهر أدب المؤمنين مع ربهم سبحانه وتعالىٰ، عدولهم عن مقتضىٰ الظاهر؛ مراعاة لتنزيه الله تعالىٰ عن مشابهة خلقه، فهودٌ عليه السلام يقول مخاطبًا قومه: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ [هود]، فغاير بين الصيغة المتعلقة بالله تعالىٰ ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾ والصيغة المتعلقة بالمخلوقين ﴿وَٱشْهَدُوٓا۟﴾؛ ولم يقل: «أُشْهِد اللهَ وأُشْهِدكم»، أدبًا مع الله، وتنزيهًا له[(١)].

وعيسىٰ عليه السلام يقول: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة]، فغاير بين الصيغة المتعلقة به هو ﴿قُلْتُ لَهُمْ﴾ والصيغة المتعلقة بالله تعالىٰ: ﴿أَمَرْتَنِى﴾، ولم يقل: «ما أمرتهم إلَّا بما أمرتني به»، تأدبًا مع الله، وتنزيهًا له[(٢)].

وحكىٰ الله تعالىٰ عن ذي القرنين قوله: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف]، فذو القرنين «لمَّا ذكر ما أعدّ الله له من الحُسنىٰ جزاء، لم يناسب أن يذكر جزاءه بالفعل، بل اقتصر علىٰ القول، أدبًا مع الله تعالىٰ، وإن كان يعلم أنه يحسن إليه فعلًا وقولًا»[(٣)].

وقال موسىٰ عليه السلام: ﴿قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه: ٨٤]، ولم يستعمل كاف الخطاب؛ فلم يقل: «أولئك»، تأدبًا مع الله تعالىٰ[(٤)].

وقال موسىٰ عليه السلام أيضًا: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف]، فحذف المفعول الأوَّل، والأصل «أرني نفسك»، أو «أرني ذاتك»؛ فحذفه تأدبًا مع الله تعالىٰ[(٥)].

---

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٩/ ٣١٠.

(٢) انظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (٥/ ٥٤٤)، وتفسير المنار (٧/ ٢٢٢-٢٢٣).

(٣) البحر المحيط (تفسير أبي حيان): ٧/ ٢٢٢.

(٤) انظر: زهرة التفاسير: ٩/ ٤٧٦٦.

(٥) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٥/ ٣٧١).

المطلب الثاني: تعاشي الجزم بالغيب، وتفويض العلم إلى الله تعالى، والإقرار بالتقصير

تعاشي الجزم بما سيفعله الله تعالى:

أخبر الله -سبحانه وتعالىٰ- في آيات كثيرة من كتابه الكريم، بانفراده بعلم الغيب، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ٣٤﴾ [لقمان: ٣٤]. كما أخبر أنه قد يطلع أنبياءه وملائكته علىٰ ما يشاء من غيبه، كما قال: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨﴾ [الجنّ].

وبيَّن في مواضع أخرىٰ من كتابه أنه -سبحانه- يفعل ما يشاء، كما في قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ [إبراهيم].

وقد راعىٰ المؤمنون الأدب مع الله -تعالىٰ- في هذا المجال؛ فلم يستعملوا من الصيغ ما يدلّ علىٰ أنّهم يجزمون بما سيفعله الله تعالىٰ، مع أنَّه هو الذي أخبرهم به، وقوله الحقّ، تأدبًا معه سبحانه.

قال موسىٰ عليه السلام مخاطبًا قومَه: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩﴾ [الأعراف]، فأتىٰ بصيغة الترجي «عسىٰ»، ولم يجزم بذلك، مع أن الله أوحىٰ إليه بذلك، أدبًا مع الله تعالىٰ، وتحاشيًا للجزم بما سيفعله الله تعالىٰ في المستقبل(١).

وقال موسىٰ عليه السلام مخاطبًا لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ١٠٢﴾ [الإسراء]، فعبر بالظنِّ، ولم يجزم بذلك، مع أن الله أوحىٰ إليه به، أدبًا مع الله وتعالىٰ(٢).

وحكىٰ الله تعالىٰ عن المؤمنين قولهم في الدُّعاء: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤﴾ [آل عمران: ١٩٤]، فسألوا الله تعالىٰ أن يؤتيهم ما وعدهم، هذا

---

(١) انظر: البحر المحيط (٥/ ١٤٦)، وروح المعاني (٥/ ٣٠)، والتحرير والتنوير (٩/ ٦٢).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٢٢٧).

مع أنهم واثقون من ذلك؛ لأن الله تعالىٰ ضمنه لهم، وأخبرتهم به الرسل، لكنهم تأدبوا مع الله فلم يجزموا بما سيفعله في المستقبل(١).

وكذلك قول الملائكة في الدُّعاء للمؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ [غافر](٢).

وقال شعيب عليه السلام مخاطبًا قومَه: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف: ٨٩]، فاستثنىٰ، وربط عدم عودته هو والذين آمنوا معه في ملّة قومهم بمشيئة الله تعالىٰ، مع علمه بأنَّه معصوم من ذلك، لكنه استثنىٰ تأدُّبًا مع الله تعالىٰ(٣).

وقال إبراهيم عليه السلام مخاطبًا أباه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم]، فعبَّر بالخوف، ولم يعبر بالجزم، مع علمه أنَّ من مات علىٰ الكفر خالدٌ في النَّار بلا شكٍّ، لكنَّه تأدَّب مع الله تعالىٰ؛ فلم يجزم بما سيفعل له في المستقبل(٤).

وقال سحرةُ فرعون بعد إيمانهم: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء]، فعبَّروا بالطمع في مغفرة الخطايا، ولم يجزموا بذلك، مع علمهم أنّ الإسلام يَجُبُّ ما قبله، تأدُّبًا مع الله تعالىٰ بعدم الجزم بما سيفعله(٥).

وقال تعالىٰ حكايةً عن النَّبيِّ ﷺ والمؤمنين يوم القيامة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم]، فقد علموا يوم القيامة أنَّ الله تعالىٰ غفر لهم، لكنهم مع ذلك طلبوا منه زيادة نورهم ومغفرة ذنوبهم، تأدبًا معه بعدم الجزم بما سيفعله(٦).

---

(١) انظر: الكشاف (١/ ٤٥٥-٤٥٦)، والتحرير والتنوير (٤/ ٢٠١).
(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢٤/ ٩٢).
(٣) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٧/ ٢٧٧).
(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٦/ ١١٨).
(٥) انظر: المصدر السابق (١٩/ ١٢٩).
(٦) انظر: المصدر السابق (٢٨/ ٣٧١).

وقال الله تعالىٰ حاكيًا عن موسىٰ عليه السلام وقومه في قصة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [البقرة]، مع قطعه بأنه ليس من الجاهلين، وبأنه معصوم من ذلك، لكنه أجاب بالدعاء والاستعاذة، تأدُّبًا مع الله تعالىٰ[(١)].

ومن هذا الباب قول ابن آدم المؤمن لأخيه الكافر: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المائدة: ٢٨]، فأتىٰ بنفي الجملة الاسمية المفيدة للثَّبات والدَّوام، أدبًا مع الله تعالىٰ في تحاشي الحكم علىٰ المستقبل[(٢)].

ومن هذا الباب مراعاة عدم التَّحديد في الدُّعاء؛ فبعض الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام، يدعو الله تعالىٰ دعاء عامًّا دون أن يحدد المطلوب بدقَّة، أدبًا مع الله تعالىٰ.

فالنَّبيُّ ﷺ كان يودّ أن يغيِّر الله القبلة من بيت المقدس إلىٰ الكعبة، ولكنَّه لم يصرِّح بذلك، أدبًا مع الله تعالىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة][(٣)].

وأيوب عليه السلام يقول في دعائه: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء]، فاكتفىٰ بوصف حاله، ولم يحدِّد المطلوب أدبًا مع الله تعالىٰ، وتحاشيًا للجزم بما سيفعله الله تعالىٰ في المستقبل[(٤)].

ونوح عليه السلام اكتفىٰ بوصف حال ابنه، وبذكر وعد الله له بإنجاء أهله، ولم ينصَّ علىٰ الدُّعاء بإنجاء ابنه، فقال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾[هود: ٤٥][(٥)].

التبرؤ من العلم الذاتي وإسناد العلم الكامل إلى الله تعالى:

أخبر الله سبحانه وتعالىٰ في آيات كثيرة من كتابه الكريم، بانفراده بالعلم الذاتي الكامل، فكل ما للمخلوق من علم فهو مكتسب من تعليم الخالق له، كما قال تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ

(١) انظر: البحر المحيط (١/ ٤٠٥).
(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٦/ ١١٩).
(٣) انظر: حاشية الطيبي (٢/ ١٤٢)، وفي ظلال القرآن (٢/ ١٢٦).
(٤) انظر: في ظلال القرآن (١٧/ ٢٣٩٢).
(٥) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٧/ ٢١٣).

ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ [البقرة].

ومن مظاهر تأدب المؤمنين مع ربهم سبحانه وتعالىٰ، تبرؤهم من العلم الذاتي في ما يعلمون، وردّ العلم إلىٰ الله تعالىٰ.

كما قال الله تعالىٰ حكاية عن الرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ [المائدة]، فنفوا العلم عن أنفسهم وأسندوه إلىٰ الله، تأدُّبًا معه، مع معرفتهم بما سألهم عنه[(١)].

وحكىٰ الله تعالىٰ محاورة الملائكة والكفَّار في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ [النحل]، فقد أجابهم الملائكة بأنَّ الله عليم، فأسندوا العلم إلىٰ الله تأدُّبًا معه، ولم يسندوه إلىٰ أنفسهم، مع علمهم بالأمر[(٢)].

مراعاة الأخبار الإلهية:

تدخل في هذا المجال مراعاة الأخبار الإلهية؛ فمن أدب المؤمنين في خطابهم لربهم، مراعاة ما كان قد أخبرهم به، فإبراهيم عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦]، فاقتصر علىٰ الدُّعاء للمؤمنين، ولم يدع للكفَّار؛ لأنَّه كان قد دعا لذرِّيته مطلقًا، فأخبره الله تعالىٰ أنَّ عهده لا يناله الظَّالمون: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ [البقرة][(٣)].

وقد نجد المؤمنين يقدِّمون مراعاة الأخبار الإلهية علىٰ تحاشي نسبة المكروه إلىٰ الله تعالىٰ، وقد تقدَّم الحديث عنه، فموسىٰ عليه السلام يقول في خطابه لربِّه سبحانه وتعالىٰ: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَّ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، فقد أضاف الفتنة إلىٰ الله تعالىٰ، مع أنها

---

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (تفسير ابن جزي): ١/ ٢٤٩، وتفسير القرآن العظيم (ابن كثير): ٢/ ٢٠٠.

(٢) انظر: التحرير والتنوير: ١٤/ ١٤٠.

(٣) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢/ ١٥٦، والتحرير والتنوير: ١/ ٧١٦، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم: ١/ ٢٧١.

من المكروه الذي يقتضي هذا الأسلوب عدم نسبته إلىٰ الله أدبًا معه. لكن موسىٰ إنما عدل عن استعمال هذا الأسلوب، لأن الله تعالىٰ كان قد خاطبه بقوله: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾[طه]، فنصَّ الله -سبحانه وتعالىٰ- علىٰ نسبة الفتنة إليه؛ فجرىٰ موسىٰ عليه السلام علىٰ ذلك، ولم يكن له أن يخالف النَّصَّ الإلهي؛ فكانت مراعاة التَّعبير الإلهي أدبًا مع الله تعالىٰ بطريقة أخرىٰ[(١)].

الإقرار بالتقصير في ما ليس ذنبا:

من مظاهر أدب المؤمنين مع ربهم سبحانه وتعالىٰ، إقرارهم بالتقصير، مع أنهم لم يقترفوا ذنبًا. فمن ذلك ما حكاه الله تعالىٰ عن موسىٰ عليه السلام بعد قصة العجل: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف]، فاستغفر لنفسه ولأخيه، مع أنهما معصومان وبريئان من عبادة بني إسرائيل للعجل[(٢)].

ومن ذلك ما حكاه الله تعالىٰ عن نوح عليه السلام فقد استغفر بعد خطابه لربِّه في قصَّة ابنه، كما قال تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود][(٣)].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٩٥-٢٩٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٩/ ١١٨).

(٣) انظر: البحر المحيط (١/ ٤٠٥).

المبحث الثالث: أساليب العدول عن الظاهر في خطاب المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى

عبَّر المؤمنون عن تأدُّبِهم مع ربِّهم -سبحانه وتعالىٰ- بعدَّة أساليب، تأتي تفصيلها في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: العدول في الأساليب

من الطرق التي عبّر بها القرآن الكريم، عن أدب المؤمنين مع ربهم، عدولهم عن الأسلوب الذي يقتضيه ظاهر الحال إلىٰ أسلوب مغاير، ومن ذلك:

العدول من استعمال أسلوب القطع إلى أسلوب الترجي:

فموسىٰ عليه السلام كان قاطعًا بتحقق وعد الله لبني إسرائيل بإهلاك فرعون واستخلاف قوم موسىٰ في الأرض، لكنه عبَّر بأسلوب التّرجي في قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩]، تأدُّبًا مع الله تعالىٰ، وتحاشيًا للجزم بما سيفعله في المستقبل.

ومثل ذلك قول موسىٰ لفرعون: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[الإسراء: ١٠٢].

وقول إبراهيم لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾[مريم]. وقول إبراهيم أيضًا: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾[الشعراء].

وقول سحرة فرعون: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾[الشعراء].

العدول من أسلوب التصديق إلى أسلوب التصور:

التَّصديق: «انقياد الذِّهن وإذعانه لوقوع نسبة تامَّة بين شيئين»[(١)]. والتَّصور: «إدراك غير النِّسبة»[(٢)]. والهمزة يطلب بها التَّصور والتَّصديق، و«هل» يطلب بها التَّصديق فقط، وبقية أدوات الاستفهام يطلب بها التَّصور فقط، ومنها: «مَن»[(٣)].

---

(١) مختصر شرح السعد علىٰ التلخيص (٢/ ٢٤٧).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) انظر: المصدر السابق (٢/ ٢٤٧)، فما بعدها.

وفي قول الله تعالىٰ: ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢ ﴾ [آل عمران]، كان مقتضىٰ الظَّاهر أن يَستفهم عيسىٰ عليه السلام بأداة من أدوات التَّصديق؛ فيقول مثلًا: «أأنتم أنصاري؟»، أو «هل أنتم أنصاري؟»، لذلك أجابه الحواريُّون بجواب التَّصديق، فقالوا: «نحن أنصار الله»، أي: «هنا من ينصرك، وهم نحن». لكن عيسىٰ عليه السلام عدل إلىٰ أداة من أدوات التَّصور هي «مَن»، أدبًا مع الله تعالىٰ[1].

استعمال الدّعاء في الواقع أو المقطوع به:

الأصل أنَّ الدُّعاء إنَّما يكون لأمر مستقبلي، لم يتحقّق في الواقع بعدُ، لكن المؤمنين يعدلون به عن الظاهر، فيستعملونه في أمر قد وقع فعلًا، أدبًا مع الله تعالىٰ. ومن ذلك:

قول يوسف عليه السلام: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[يوسف: ٩٩]، فجملة ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ﴾ جملة دعائية، وهم كانوا قد دخلوا مصر[2].

وقول موسىٰ عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]، مع أنهما معصومان عن الذنوب، وقد أخبرهما الله تعالىٰ باجتبائه لهما ورضاه عنهما.

وقوله عليه السلام: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧ ﴾ [البقرة]، مع أنه يقطع بأنه ليس من الجاهلين.

وقول نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧ ﴾ [هود: ٤٧].

وقول النَّبيِّ ﷺ والمؤمنين يوم القيامة: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [التحريم: ٨].

كما أنَّ من شأن الدُّعاء أن لا يكون في أمر مقطوع به، فالأصل أن لا يستعمل في الأمور التي أخبر بها الله سبحانه وتعالىٰ؛ لأنها ستحقّق قطعًا في المستقبل، لكن المؤمنين قد يستعملون الدُّعاء في هذا المقام، أدبًا مع الله تعالىٰ، ومن ذلك: قول المؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤ ﴾ [آل عمران]، مع أنهم قاطعون بأن الله لا يخلف وعده.

---

(١) انظر: عروس الأفراح (١/ ٤٤٢).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٣/ ٥٥).

وقول الملائكة في الدُّعاء للمؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ [غافر].

استعمال الخبر في لازم فائدة الإخبار:

قال الله تعالىٰ في قصَّة ذي القرنين: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف].

فقول ذي القرنين: ﴿فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ﴾: خبر مستعمل في لازم الفائدة تأدُّبًا مع الله تعالىٰ، أي: إنِّي أعلم أنَّ جزاءَه عندك الحُسنىٰ[1].

عدم مطابقة الجواب للسؤال:

قد يستعمل المؤمنون هذه الطَّريقة؛ فيتحاشون مطابقة الجواب للسُّؤال، تأدُّبًا مع الله تعالىٰ، «فإنَّ الرَّبَّ تعالىٰ لا يستفهم خلقَه عن شيء، وإنَّما يستفهمهم ليقرِّرهم، ويذكِّرهم أنّهم قد علموا حقَّ ذلك الشَّيء»[2].

ومن ذلك: جواب الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام لمَّا سألهم ربُّهم يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة].

وردُّ الملائكة علىٰ الكفَّار: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النحل].

العدول عن الكلمة التي يقتضيها السياق:

مثل قول هود عليه السلام: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ [هود]، وكان مقتضىٰ الظاهر استعمال المضارع في الصيغتين، لكنه عدل عن استعمال المضارع في خطاب قومه تأدُّبًا مع الله بتنزيهه عن مشابهة صيغة خطاب المخلوقين.

ومثل قول عيسىٰ عليه السلام: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة]، وكان السِّياق يقتضي أن يقول: «ما أمرتُهم إلَّا بما أمرتني به»، فعدل عنها تأدُّبًا مع الله تعالىٰ.

---

(١) انظر: المصدر السابق (١٦/ ٢٨).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٢٧).

استعمال نفي الجملة الاسمية المفيدة لنفي الثبات:

مثل قول ابن آدم المؤمن لأخيه الكافر: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨﴾ [المائدة].

المطلب الثاني: الإيجاز والإطناب والمجاز العقلي

الإيجاز والإطناب:

الإطناب والإيجاز والمساواة «عبارة عن زيادة في الألفاظ وما يقابلها، والزائد مفرد أو جملة أو أكثر، وكذلك المحذوف. أما المساواة فهي كون العبارة مساوية لما تريد أن تفيده، كعبارات أوساط الناس الذين لم يرتقوا إلىٰ درجة البلغاء، ولم ينحطوا إلىٰ موضع أهل الحصر والعي»[(١)].

وقد قارن ابن الأثير بين الإيجاز والإطناب (وهو الذي يؤتىٰ به لغرض بلاغي)، والتطويل (وهو الذي لا يفيد نكتة، ولا يؤتي به لغرض بلاغي)؛ فقال: «فإنَّ مثال الإيجاز والإطناب والتَّطويل: مثال مقصد يسلك إليه في ثلاثة طرق؛ فالإيجاز هو أقرب الطرق الثلاثة إليه، والإطناب والتطويل هما الطريقان المتساويان في البعد إليه، إلا أن طريق الإطناب تشتمل علىٰ منزه من المنازه لا يوجد في طريق التطويل»[(٢)].

فالإيجاز طريقة يستخدمها المؤمنون تأدُّبًا مع الله تعالىٰ، فقد يكون بالاكتفاء بالإشارة عن النطق، مثل ما فعل رسول الله ﷺ: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٤٤﴾ [البقرة].

وقد يكون بالاكتفاء بذكر السَّبب عن طلب المُسبَّب، مثل قول أيوب عليه السلام: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾ [الأنبياء]، وقول نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥].

وقد يكون بحذف الفاعل (تركيب الفعل للمجهول، أو استعمال اسم المفعول)، كما في قول مؤمني الجنِّ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠﴾ [الجن][(٣)]. وقول المؤمنين: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾.

---

(١) الوسيلة الأدبية للعلوم العربية (٢/ ٤٨).

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (٢/ ٢٨١).

(٣) انظر: تفسير ابن عرفة (٤/ ٣٠٥)، والتحرير والتنوير (٢٩/ ٢٣١).

وقد يكون بحذف بعض الفَضْلَات، مثل قول موسىٰ عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، والتَّقدير: «أرني ذاتك». وقول المؤمنين: ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ٢٦]، والتَّقدير: «بيدك الخير والشر».

وقد يكون بترك استعمال كاف الخطاب، مثل قول موسىٰ عليه السلام: ﴿هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ [طه: ٨٤].

وكذلك الإطناب؛ فهو طريقة يستخدمها المؤمنون تأدُّبًا مع الله تعالىٰ. فقد يكون للاحتراس بتقييد لمطلق، مثل قول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦﴾ [البقرة].

وقد يكون للاحتراس بزيادة الاستثناء، مثل قول شعيب: ﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ٨٩﴾ [الأعراف].

وقد يكون الإطناب بالثَّناء علىٰ الله، مثل قول يوسف عليه السلام: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩]، فجملة ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ﴾ جملة دعائية، وجملة ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ تأدُّب مع الله كالاحتراس؛ فهم كانوا قد دخلوا مصر(١).

المجاز العقلي:

المجاز العقلي، هو: «إسناد الفعل أو معناه، إلىٰ ملابس له، غير ما هو له بتأوُّل. وللفعل ملابسات ستَّىٰ: يلابس الفاعل، والمفعول به، والمصدر، والزمان، والمكان والسبب»(٢).

وقد استعمله المؤمنون في خطابهم لربِّهم تأدُّبًا معه سبحانه؛ فنسبوا بعض الأفعال المكروهة إلىٰ غير الله تعالىٰ، علىٰ طريقة المجاز العقلي، مع أنَّ الله تعالىٰ هو فاعلها حقيقةً. فالخضر عليه السلام يقول عن السَّفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، فأسند الإرادة والعيب إلىٰ نفسه.

وموسىٰ عليه السلام يقول لقومه بعد عبادتهم للعجل: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ٨٦﴾ [طه]، أي: تسبب عن فعلكم إخلاف موعدي.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٣/ ٥٥).

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة (٢٨).

وأيوب عليه السلام ينسب المسَّ بالنُّصب والعذاب إلىٰ الشَّيطان، علىٰ طريقة المجاز العقلي؛ فحكىٰ الله تعالىٰ عنه قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، وحكىٰ عنه في موضع آخر قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] مع أنَّ خالق الضُّرّ والنُّصب والعذاب هو الله تعالىٰ، كما قال: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾ [الأنعام].

وإبراهيم عليه السلام يقول: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠﴾ [الشعراء]؛ فنسب الشِّفاء إلىٰ ربِّه، ونسب إحداث المرض إلىٰ نفسه، علىٰ طريقة المجاز العقلي، تأدُّبًا مع الله.

ويقول عليه السلام: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٦﴾ [إبراهيم]، فأسند الإضلال إلىٰ الأصنام، مع أنها جماد مخلوق لا يضر ولا ينفع، لأنَّ الإضلال من المكروه، فنسبه إليها، تأدُّبًا مع الله -سبحانه وتعالىٰ- علىٰ طريقة المجاز العقلي(١).

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٠/ ٤٢٥).

الخاتمة

حاول هذا البحث دراسة مظهر من مظاهر الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، يمثله أحد الأساليب البلاغية، الشائعة في القرآن الكريم، هو عدول المؤمنين عن الظاهر تأدبًا مع ربهم سبحانه وتعالىٰ.

وقد بدأ البحث بمبحث نظري تمهيدي، درس فيه مقتضىٰ الظاهر والأصل الشرعي لاستعمال هذا الأسلوب، ثم أتىٰ البحث بمبحثين تطبيقين، درس فيهما أسباب العدول عن الظاهر في هذا الأسلوب، وأساليب العدول عن الظاهر فيه.

وتوصل البحث إلىٰ أن هذا الأسلوب شائع في القرآن الكريم، وأنه مندرج في مقصد من مقاصد القرآن الكريم، هو تعظيم الله سبحانه وتعالىٰ، باستعمال هذا الأسلوب البلاغي الرائع، وهو تأدب المؤمنين معه في خطابهم إياه.

الله أعلم.

ثبَت المصادر والمراجع

١- **الأصول: دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب**، تأليف: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢- **الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد علىٰ مذهب السلف وأصحاب الحديث**، تأليف: البيهقي (أبي بكر أحمد بن الحسين)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ١، ١٤٠١هـ.

٣- **الإكليل في استنباط التنزيل**، تأليف: السيوطي (أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٤- **الإيضاح في علوم البلاغة**، تأليف: الخطيب القزويني (جلال الدين أبي عبد الله محمد بن سعد الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥- **البحر المحيط (تفسير أبي حيان)**، تأليف: أبي حيان الغرناطي (أثير الدين محمد بن يوسف)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٦- **البرهان في علوم القرآن**، تأليف: الزركشي (أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسىٰ البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، ط ١، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

٧- **تاريخ آداب العرب**، تأليف: مصطفىٰ صادق الرافعي، مراجعة وضبط: عبد الله المنشاوي/ ومهدي البحقيري، مكتبة الإيمان، القاهرة.

٨- **التحرير والتنوير**، تأليف: ابن عاشور (محمد الطاهر بن محمد التونسي)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

٩- **التسهيل لعلوم التنزيل (تفسير ابن جزي)**، تأليف: ابن جزي (أبي القاسم محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي)، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ.

١٠- **تفسير ابن عرفة**، تأليف: ابن عرفة (أبي عبد الله محمد بن محمد الورغمي التونسي المالكي)، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م.

١١- **تفسير الجلالين**، تأليف: المحلي (جلال الدين محمد بن أحمد الشافعي)، بهامش حاشية سليمان الجمل علىٰ الجلالين، المطبعة الأزهرية، مصر، ١٣٠٣هـ.

١٢- **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، تأليف: محمد رشيد رضا القلموني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
١٣- **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)**، تأليف: ابن كثير (أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.
١٤- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، تأليف: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧/ ١٩٩٨م.
١٥- **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، تأليف: القرطبي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
١٦- **حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الراضي علىٰ تفسير البيضاوي)**، تأليف: الشهاب الخفاجي (شهاب الدين أحمد بن محمد المصري الحنفي)، دار صادر، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
١٧- **حاشية الطيبي علىٰ الكشاف (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب)**، تأليف: الطيبي (شرف الدين الحسين بن عبد الله)، تحقيق: مجموعة، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط ١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
١٨- **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تأليف: عبد القاهر الجرجاني (أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة/ دار المدني بجدة، ط ٣، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
١٩- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الألوسي)**، تأليف: الألوسي (شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
٢٠- **زهرة التفاسير**، تأليف: محمد أبي زهرة، دار الفكر العربي.
٢١- **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**، تأليف: ابن عقيلة المكي (شمس الدين محمد بن أحمد الحنفي)، تحقيق: مجموعة، مركز البحوث والدراسات بجامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط ١، ١٤٢٧هـ.
٢٢- **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، تأليف: بهاء الدين بن السبكي (أبي حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٣- **علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)**، تأليف: المراغي (أحمد مصطفىٰ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
٢٤- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، تأليف: الشوكاني (محمد بن علي اليمني)، دار ابن كثير/ دار الكلم الطيب، دمشق/ بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ.
٢٥- **في ظلال القرآن**، تأليف: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط ٣٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
٢٦- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الزمخشري)**، تأليف: الزمخشري (أبي القاسم جار الله محمود بن عمر)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.
٢٧- **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تأليف: الخازن (أبي الحسن علاء الدين علي بن محمد الشيحي)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
٢٨- **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، تأليف: فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ٣، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
٢٩- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تأليف: ابن الأثير (ضياء الدين نصر الله بن محمد)، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
٣٠- **محاسن التأويل (تفسير القاسمي)**، تأليف: القاسمي (محمد جمال الدين بن محمد سعيد)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
٣١- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)**، تأليف: ابن عطية (أبي محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٣٢- **مختصر شرح السعد علىٰ تلخيص المفتاح للخطيب القزويني**، تأليف: سعد الدين التفتازاني (مسعود بن عمر)، ضمن: «شروح التلخيص»، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٣- **معاني النحو**، تأليف: فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
٣٤- **مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)**، تأليف: الرازي (أبي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر التيمي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
٣٥- **مفتاح العلوم**، تأليف: السكاكي (أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر الخوارزمي)، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣٦- **النشر في القراءات العشر**، تأليف: ابن الجزري (أبي الخير شمس الدين محمد بن محمد)، تصحيح: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرىٰ، مصر.
٣٧- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تأليف: البقاعي (إبراهيم بن عمر)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٣٨- **الوسيلة الأدبية للعلوم العربية**، تأليف: حسين المرصفي، مطبعة المدارس الملكية، القاهرة، ١٢٩٢هـ.

الموضوعات

مقدمة ٢

المبحث الأول: مقتضىٰ الظاهر والأصل الشرعي لاستعمال هذا الأسلوب ٦

المبحث الثاني: الأسباب التفصيلية للعدول عن الظاهر في خطاب المؤمنين لربهم سبحانه ١٠

المبحث الثالث: أساليب العدول عن الظاهر في خطاب المؤمنين لربهم سبحانه وتعالىٰ ١٨

خاتمة ٢٤

المصادر والمراجع ٢٥

الموضوعات ٢٩